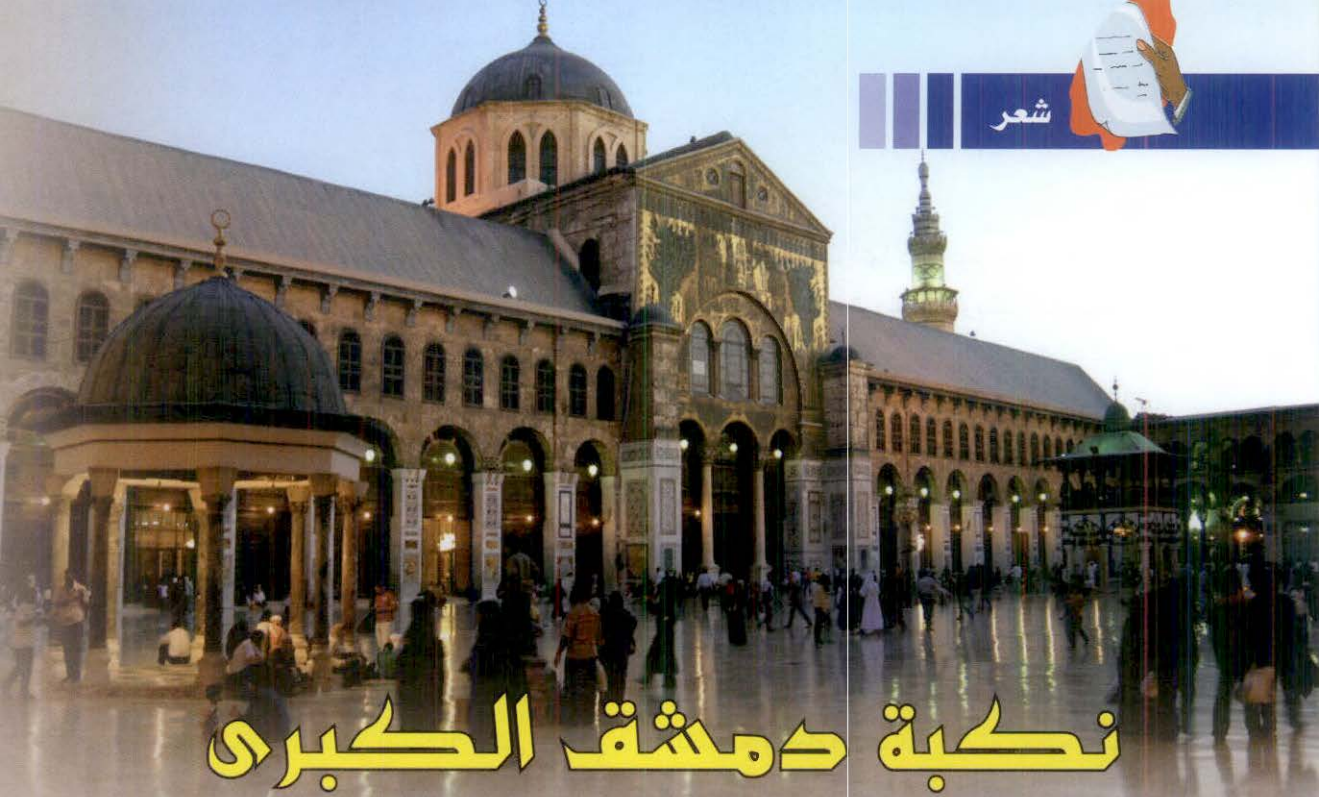

نكبة دمشق الكبرى

رسالة مفتوحة يوجّهها الشاعر (عيسى ألبي أبوبكر) إلى أمير الشعراء (أحمد شوقي) يخبره عن نكبة دمشق الكبرى بعد مضيّ ما يقارب تسعين عاماً على إلقاء قصيدته القافيّة المشهورة في خمسة وخمسين بيتاً بمسرح حديقة الأزبكيّة، في القاهرة في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا في يناير ١٩٢٦م، وعنوانها (نكبة دمشق)، ومن أبياتها:

سلام من صبا (بَرْدَى) أَرَقّ ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومعذرة اليراعة والقوافي ... جلال الرزء عن وصف يدقّ

وذكرى عن خواطرها لقلبي ... إليك تلفّت أبداً وخفق

يقول عيسى ألبي أبوبكر:

د. عيسى ألبي أبوبكر(*) - نيجيريا

أميرَ الشّعر قلبك هل يدقّ ... وقد أقوتْ بكلّ أسًى دمشقُ

ونكبتها التي قد ضِقتَ ذرعاً ... بها فوصفتها ألَمًا أرقُّ

تفتّت قلبك الواهي عليها ... وزلزله لها خوف وخفقُ

تغيّر لونُ وجهك بعد رزء ... وقد أبهى به بِشْر وطلقُ

فقدتُ لرزئها الأنكى رشادي ... وفي قلبي لما تلقاه صَعْقُ

وتُصبح وهْي مقلقة الجَنان ... وفي إمسائها رَعْدٌ وبرقُ

وجنّتها المزيّنة الرّوابي ... قلاها فجأة طيرٌ ووُرْقُ

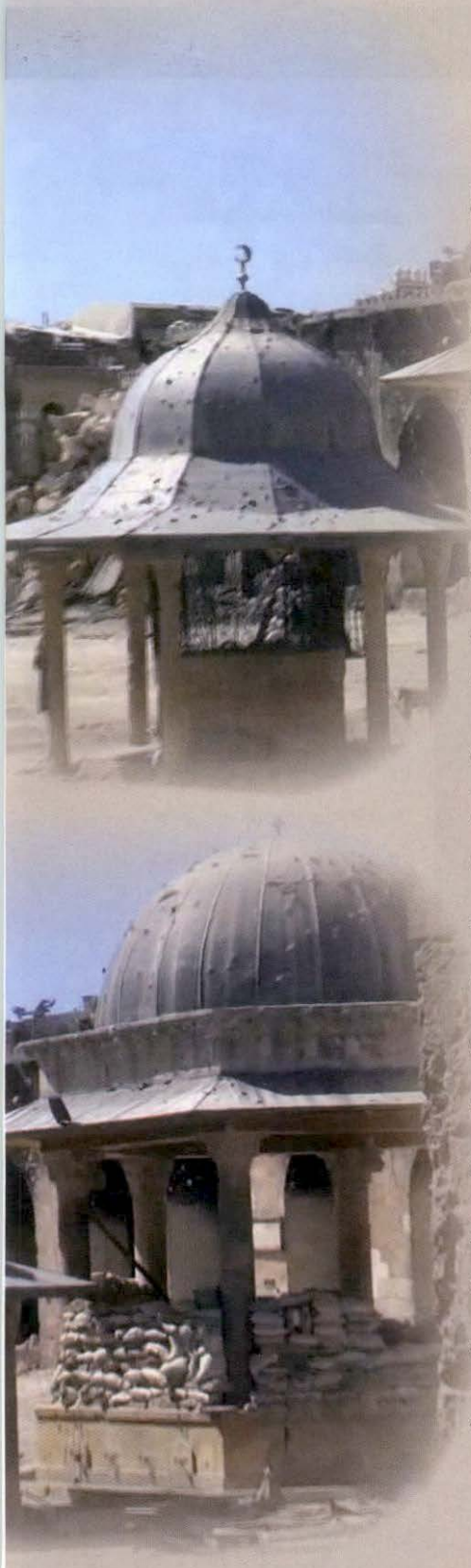

أصدّق ما روى الراوون عنها ... ففي أخبارهم جِدٌّ وصِدقُ

وفي أخبارهم ما لا يلذّ ... دمار شامل دوماً ونَزْقُ

و(سُوريا) قد أذلّوها فصارت ... يدير شؤونها غرب وشرقُ

بنوها ويحَهم دَكُّوا حماها ... بأيديهم وهم خُرقٌ وحُمْقُ

فجاءتها الأعادي من بعيد ... وفي أضلاعها غيظٌ وحَرقُ

ففي أفعالهم إنّي أراهم ... كمن في قلبه فِسْقٌ وعَقُّ

وقد راموا رئاستها بعُنف ... وليس لهم إلى الأخلاق سَبْقُ

زمام الملك يؤتيه إلهي ... بدون تشاجر من يستحقُّ

أبينَ أُسودها ومُعارضيها ... إذا ما قيستِ الأضرارُ فرقُ؟

إذا سألوك: أيُّ النُّظم خير؟ ... فإنّ الحكم بالشورى أدقّ

إذا سألوك: أيُّ النُّظم أعلى؟ ... فأعلاها لها عدْلٌ ورِفْقُ

لماذا قتّلوا البُرآء ظلماً ... وليس لهم وأيمُ الله رَشقُ؟

لماذا شرّدوا قوماً كراماً ... فليس لهم إلى الإرغاد طرق؟

لماذا أيّموا النسوان فيها ... وليس لهنّ من يحمي ورزق؟

لماذا يتموا الأطفال بغياً ... وهم في العمر أفراخٌ تُزَقُّ؟

لماذا دمّروا الآثار جهلاً ... أفي تفكيرهم رَشَد وعمق؟

لماذا شوّهوا للدّين وجهاً ... (وفي أعطافهم خطباء شُدْقُ؟)[1]

سكتُّ أسىً فأنّبني ضميري ... فقلتُ الشعرَ كي يرويه خلقُ

أبعد (الأزبكيّة) جئتُ أبكي ... (لسُورِيَا) بل لأستار تُشَقُّ؟

أأرغب في زيارتها و(بَرْدَى) ... يُشَابُ وماؤه كدرٌ وَرَنْقُ؟

يعزّ عليَّ حقّاً أن أراها ... بكلّ قنابل الدّنيا تُدَقُّ

(*) قسم اللغة العربيّة، جامعة إلورن- نيجيريا.

(١) عجز البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي.